ألف حكاية وحكاية (١١)

الربح من غرامة

وحكايات أخرى
يرويها

يعقوب الشارونى



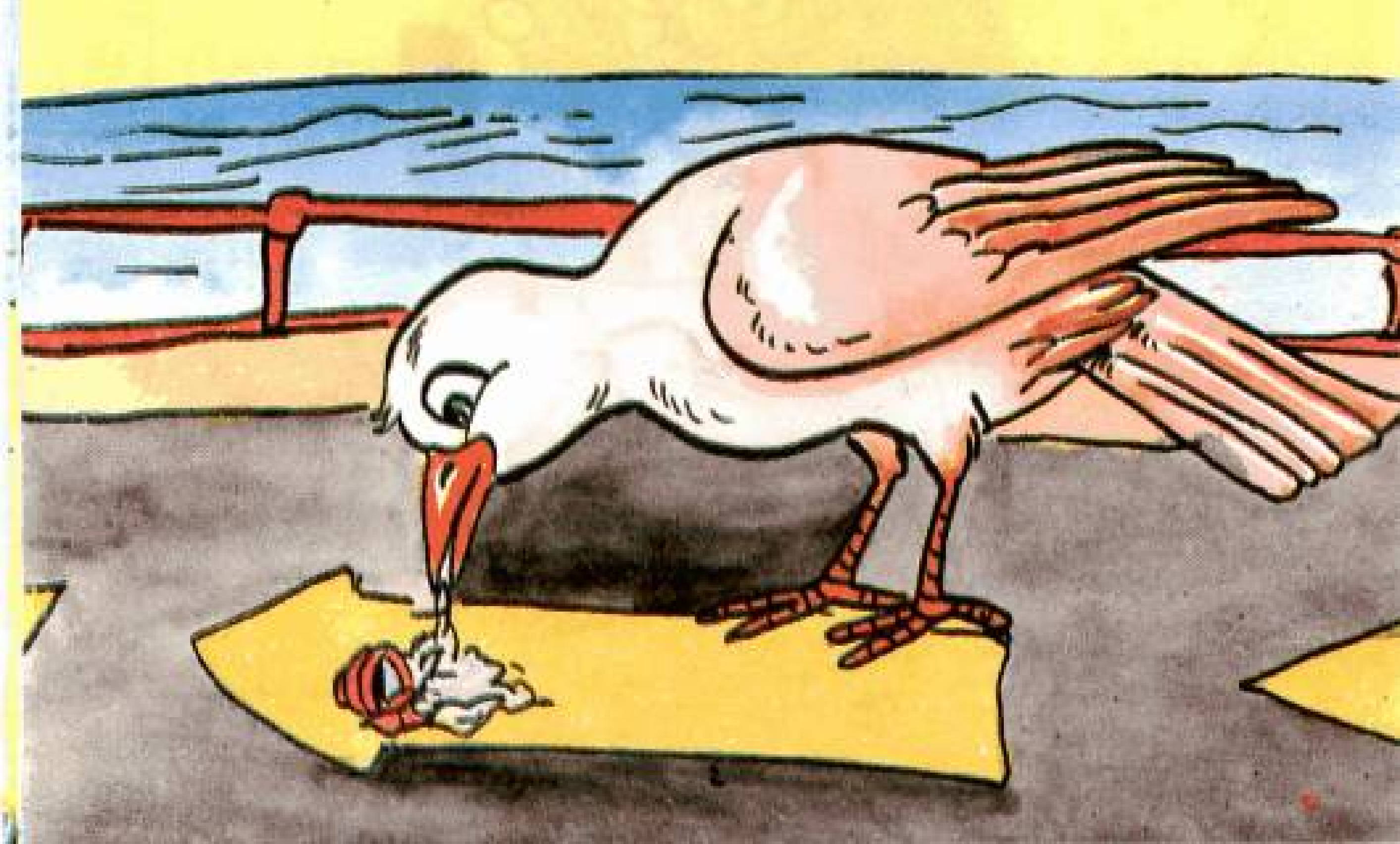
رسوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
- الفجالة - القاهرة

الطائر والقوقعة

حكى رجلٌ يعيشُ في مدينةٍ كبيرةٍ، تُعْتَبرُ في نفسِ الوقتِ أحدَ الموانى البحريةِ المهمَّةِ، القصةَ التاليةَ:

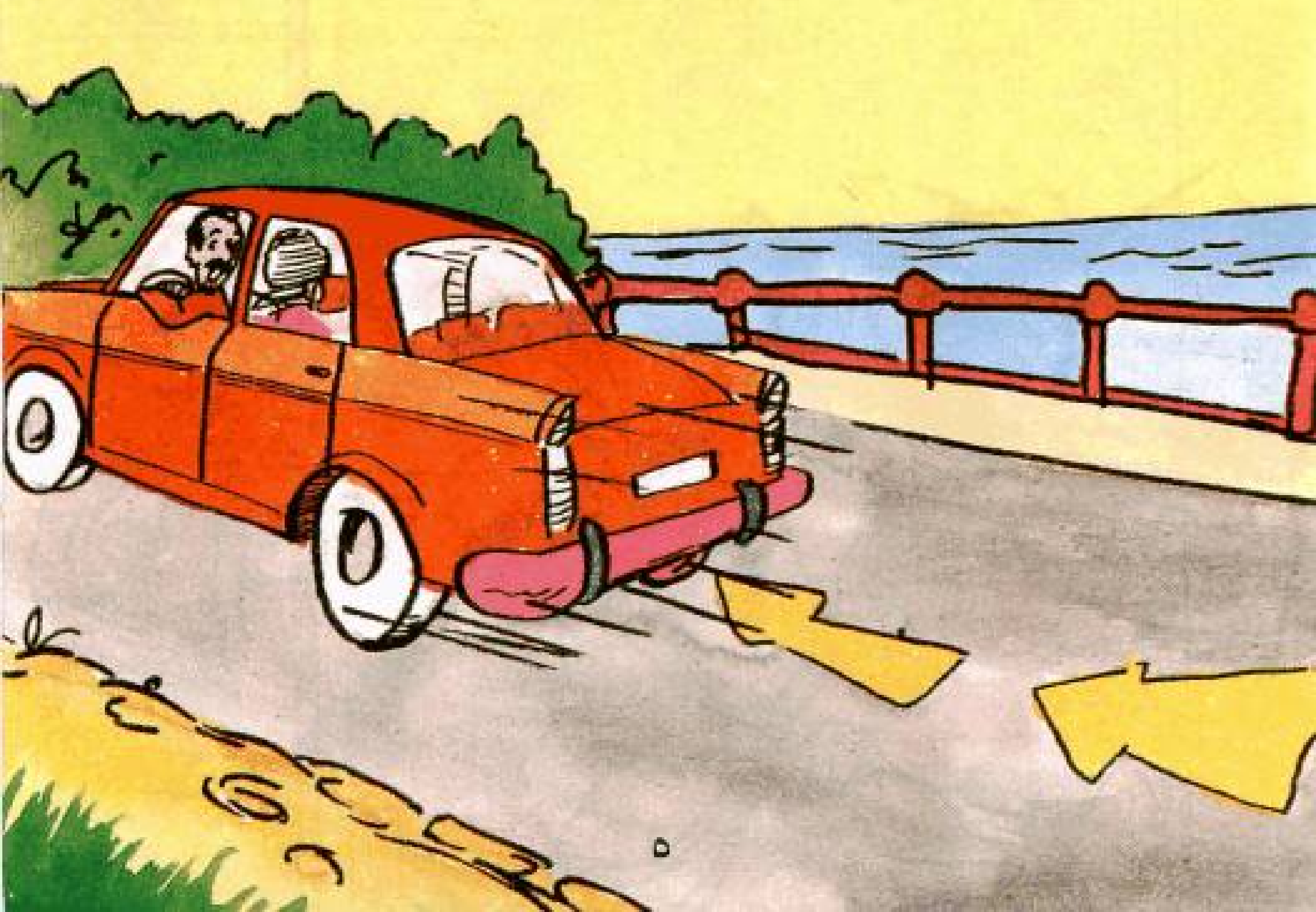
كُلُّ مَنْ يعيشُ بالقربِ من البحرِ، يعرفُ أنَّ طيورَ البحرِ تفتحُ القواقعَ بأنْ تمسكَها بمناقيرِها، وتطيرَ إلى ارتفاعٍ كبيرٍ، ثم تُلقِيهَا وهى طائرةٌ على الصخورِ أو على الطريقِ، فتتحطَّمَ القواقعُ، وتتناثرَ محتوياتُها، فتستطيعُ بذلكَ أنْ تأكلَ الحيواناتِ البحريةَ التى بداخلِها.



وفـي أحـدِ الأيامِ، كُنْتُ أنـا وزوجتـي نسيرُ بسيارتِنا فـي طريـقٍ يجاورُ شاطئَ البحرِ، ورأيْنـا أحـدَ تلـك الطيـورِ يمسـكُ بمنقارِهِ قَوقعةً كبيرةً. ألقى الطائرُ القوقعةَ على الطريقِ أمامَنا، وهبطَ حتى وقفَ إلى جانبِ الطريقِ. كانتِ القوقعةُ قريبةً من سيارتِنا، لكنَّنا تَجنَّبْناها.

ولدهشتِنا، سمعْنا صيحاتِ الاحتجـاجِ يُطلِقُهـا الطـائرُ، فغاظَتْنـا وقاحَتُه، فعُدْنا إلى الخلفِ بسـيارتِنا، وحطَّمْنـا القوقعـةَ تحـتَ عجـلاتِ السيارةِ، ثم مضَيْنا فى طريقِنا.

وبعدَ أمتارٍ قليلةٍ، التفتْنا إلى الوراءِ، فوجَدْنـا الطـائرَ وقـد انهمكَ فى تناولِ طعامِهِ من محتوياتِ القوقعةِ المتناثرةِ، والتى لمْ تتحطَّمْ إلا بعدَ أنْ دُسْنا عليها بسيارتِنا.



جحا في السوق

أخذَ جحا حمارَهُ إلى السوقِ، فجاءَ أحدُ المشترينَ، ومدَّ يدَهُ إلى فمِ الحمارِ ليعرفَ عمرَهُ من أسنانِهِ، فعضَّهُ الحمارُ عضةً قاسيةً، فأسرعَ الرجلُ يقفزُ مبتعدًا وقد انطلقَتْ من فمِهِ الشتائمُ واللعناتُ.

ثم جاءَ مشترٍ آخرُ، وأخذَ يتأمَّلُ الحمارَ، وأرادَ أن يمسكَ ذيلَهُ، فرفَسَهُ الحمارُ رفسةً قويةً طرحَتْهُ أرضًا، فقامَ يسخطُ ويسبُّ.

عندئذٍ اقتربَ أحدُ التجارِ من جحا، وقالَ لَهُ:



"هذا الحمارُ لن يشترِيَهُ أحدٌ، فهو يعضُّ ويرفسُ."

فقالَ جحا:

"لم أصطحبْ حمارى معى إلى هنا لأبيعَهُ، إنما جئْتُ بهِ ليرى الناسُ مقدارَ ما يُصيبُنى من أذاه !!"



الغراب العطشان

اشتدتِ الحرارةُ ذاتَ يومٍ، فطارَ غرابٌ عطشانٌ يبحثُ عن نقطةِ ماءٍ يشربُها.

كانتِ الأرضُ صلبةً تملؤُها الشقوقُ، وقد جفَّتِ القنواتُ والترعُ، ولم يكُنْ هناكَ ماءٌ في أيِّ مكانٍ.

وفجأةً، شاهدَ الغرابُ جرَّةً، فأسرعَ يطيرُ إليها.

نظرَ داخلَها، ثم صاحَ: "في قاعِها قليلٌ من الماءِ .. لكنْ كيفَ أصلُ إليه ؟"

اشتدَّ إحساسُ الغرابِ بالعطشِ، فأخذَ يفكِّرُ في طريقةٍ يصلُ بها إلى الماءِ.

فنقرَ الجرةَ بعنفٍ، لكنها لم تنكسرْ.

قالَ لنفسِهِ: "سأدفعُها حتى تقعَ وتتحطَّمَ."

لكنَّ الجرَّةَ كانَتْ ثقيلةً، فلم يستطعْ أنْ يحركَها من مكانِها.

وأخيرًا قالَ الغرابُ: "الآنَ خطرَتْ لي فكرةٌ. سأضعُ بعضَ الحصى في الجرةِ، فيرتفعُ الماءُ فيها."

وطارَ الغرابُ إلى كومةٍ من الحصى، والتقطَ حصاةً بمنقارِهِ، وعادَ إلى الجرةِ.

وألقى الحصاةَ داخلَها، فارتفعَ الماءُ بمقدارٍ قليلٍ.



ثم ذهبَ وأحضرَ حصاةً أخرى، وعندما أسقطَها فــى الجــرةِ، ارتفعَ الماءُ بمقدارٍ آخرَ.

ظلَّ الغرابُ يطيرُ ويُحْضِرُ الحصـى ويُلقِيهُ حصاةً بعدَ حصاةٍ فى الجرةِ، إلى أن ارتفعَ الماءُ إلى فوهةِ الجرةِ.

وتمكَّنَ الغرابُ أخيرًا من شربِ جرعةٍ كبيرةٍ من الماءِ الباردِ وهو يقولُ: "الآنَ أفوزُ بثمرةِ تفكيرى وعملى الشاقِّ، فمَنْ يواصل بذلَ الجهدِ، لابدَّ أن يحصلَ على ما يريدُ."



إنها مُزيَّفة

يُحكى أن تاجرًا من كبارِ المشتغلينَ بتجارةِ اللوحاتِ الفنيةِ، اشترَى لوحةً عليها إمضاءُ الفنَّانِ المشهورِ "بيكاسو"، فأخذَ اللوحةَ، وذهبَ إلى بيتِ بيكاسو، ليتأكدَ منهُ هل اللوحةُ أصليةٌ أم مزيَّفةٌ. وكانَ الفنانُ يعملُ فى مرسمِهِ ومعَهُ أحدُ أصدقائِهِ، فاكتفَى بأن ألقَى نظرةً خاطفةً على اللوحةِ، وقالَ:

"إنها مزيفةٌ."

هنا صاحَ الصديقُ:

"لكنْ يا أستاذى العزيزَ .. لقد رأيتُكَ بعينى هاتَيْنِ وأنتَ ترسمُ بنفسِكَ هذهِ اللوحةَ منذ عدةِ سنواتٍ!"

هُنا هزَّ بيكاسو كتفَيْهِ فى غيرِ مبالاةٍ، وقالَ:

"إنَّنى أرسمُ أحيانًا لوحاتٍ مزيفةً !"

وخرجَ التاجرُ وقدِ امتلأ دهشةً، ورافقَهُ صديقُ الفنانِ المشهورِ، ليشرحَ له سرَّ عبارةِ بيكاسو الغريبةِ.

وقالَ الصديقُ:

"لقد قصدَ بيكاسو أنْ يقولَ لكَ إنه، كغيرِه من الفنانينَ، يرسمْ فى بعضِ الأحيانِ لوحاتٍ ينقصُها عنصرُ الإلهامِ، بحيثُ تبدو بعدَ مرورِ

بعضِ الوقتِ، كأنَّ شخصًا آخرُ هو الذى رسمَها، وأنَّهُ يقلِّدُ أسلوبَ الفنانِ وطريقَتَهُ فى الرسمِ. إنَّكَ تستطيعُ فى الحقيقةِ أن تقولَ عن هذه اللوحةِ: إن بيكاسو غيرَ الأصيلِ، والذى فارقَتْهُ روحُ الإبداعِ والإلهامِ عندَما كانَ يرسمُها، يقلِّدُ فى هذه اللوحةِ أسلوبَ بيكاسو الحقيقىِّ !!"



المعركة الخائبة

يُحكَى أنَّ أجزاءَ جسمِ الإنسانِ، اجتمعَتْ ذاتَ يومٍ لتشكُوَ من المعدةِ.

قالتِ الأيدى:

"ما الذى تفعلُهُ المعدةُ طوالَ اليومِ؟! إنَّنا نشقَى من أجلِ حياةِ صاحبِنا. أما تلك المعدةُ، فإنها تستقرُّ مختفيةً فى كسلٍ، بينما نجمعُ لها بشقِّ النفسِ ما نحشوها بهِ."

قالتِ الأقدامُ:

"هذا صحيحٌ تمامًا. إننا نسيرُ ساعاتٍ طويلةً، نحملُ تلكَ المعدةَ الكبيرةَ، لنحضرَ لها الطعامَ من هُنا وهُناكَ."

هنا قالَتِ الأسنانُ:

"ونحن نعانى مثلَكم. لقد أصابَنا التلفُ من كثرةِ ما نمضغُ



ونطحنُ، لا لشيءٍ إلا لكى تحسَّ هذهِ المعدةُ التى لا تشبعُ بالرِّضا."

قالَتِ الأيدى:

"لقد شبِعْنا من هذا."

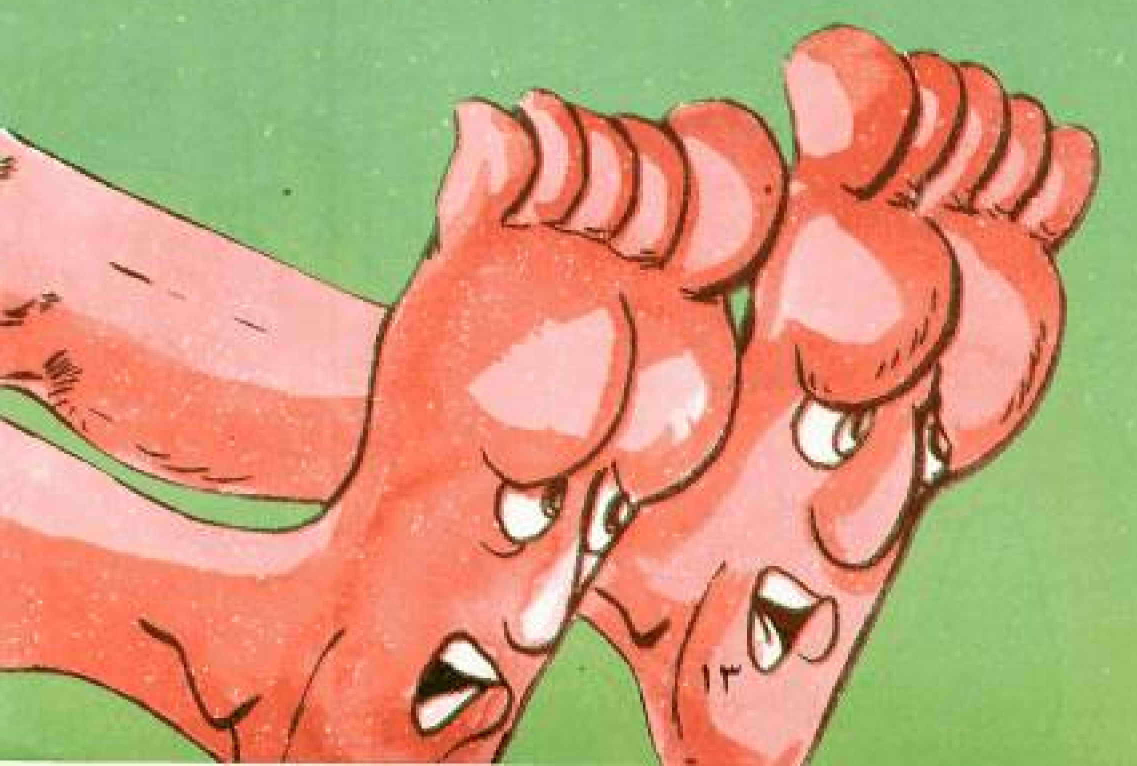
وصاحَتِ الأقدامُ:

"ونحن لا نقبلُ أن نستمرَّ على هذهِ الحالِ."

وصرخَتِ الأسنانُ:

"ونحن نتضامَنُ معَكُم."

واستمعَتْ بقيةُ أجزاءِ الجسمِ إلى هذا الحديثِ الغاضبِ، فوافقَتْ علَيْهِ، واتفقَتْ فيما بينَها على مقاطعةِ المعدةِ، وقَطْعِ العلاقاتِ معها تمامًا: فالأقدامُ لن تعودَ تذهبُ إلى السوقِ، والأيدى لن تحملَ الطعامَ إلى الفمِ، والفمُ لن يسمحَ بأن يدخلَهُ أىُّ طعامٍ، والأسنانُ لن تمضغَ وتطحنَ ... وقرَّرَتْ بقيةُ أجزاءِ الجسمِ أن تقومَ بإجراءاتٍ مماثلةٍ !



لكنْ قبلَ أن يمضِيَ وقتٌ طويل على تنفيذِ تلكَ المقاطعةِ، بدأتْ كلُّ الأعضاءِ تحسُّ بالضعفِ والخمولِ: الأقدامُ لم تعُدْ تستطيعُ السيرَ إلا بصعوبةٍ، بينما صاحبُها يسحبُها تحتَهُ في مشقَّةٍ، والأيدي لم تعُدْ قادرةً حتى على أنْ تمسكَ بقلمٍ لتكتبَ، والأسنانُ أصبحَتْ أضعفَ من أن تقدرَ على مضغِ قطعةِ الخبزِ الليِّنِ.

عندئذٍ قالَتِ المعدةُ:

"الآنَ ترَوْنَ يا أصدقائي، أنَّني حقًّا لا أستطيعُ أن أفعلَ شيئًا بدونِكم. لكنْ، بماذا تشعرونَ أنتم الآنَ بدوني؟! الحقيقةُ أن أحدًا منَّا لا يستطيعُ أن يواصِلَ الحياةَ بمفردِهِ، بغيرِ تعاونٍ مع الآخرينَ."

ومنذُ ذلك اليومِ، وكلُّ أجزاءِ الجسمِ تعملُ متعاونةً في تنسيقٍ تامٍّ.

ومعَ ذلكَ، فقد نلاحظُ أحيانًا أنَّ المعدةَ تدمدمُ كأنَّما تتذمَّرُ، لتُذكِّرَ بقيةَ أعضاءِ الجسمِ أنها لم تنسَ تلكَ المعركةَ الخائبةَ!



نجاح ! !

كانَ ملِكُ فرنسا "لويس الرابع عشر" يحبُّ الشعرَ والشعراءَ. وذاتَ يومٍ، عرضَ على أحدِ كبارِ الشعراءِ قصيدةً كتبَها بنفسِهِ، وسألَ الشاعرَ عن رأيِهِ فيها، فقالَ له الشاعرُ في دبلوماسيةٍ رقيقةٍ:

"مولاى .. ليسَ هناكَ مستحيلٌ بالنسبةِ إلى جلالتِكم .. فقد أردْتُم أن تكتبوا أبياتًا رديئةً من الشعرِ، فنجحْتُم فى ذلك كلَّ النجاحِ ! !"



أعرابى وعصاه

فى القرنِ الأوَّلِ الهجرِىَّ، قابلَ الحجاجُ حاكمُ العراقِ، رجلاً أعرابيًّا، فقالَ لهُ:

"مابيدِكَ ؟"



فقالَ الأعرابى:

"عصاى .. أسوقُ بها دابَّتِى، وأعتمدُ عليها فى مشيتى، وألقِى عليها كسائى فيقينى الحرَّ. تقرِّبُ إلىَّ ما بعدَ عنِّى، أعلِّقُ عليها أدواتى، وأقرعُ بها الأبوابَ، وأتَّقِى بها عَضَّ الكلابِ، وتنوبُ عن الرُّمح والسَّيفِ عندَ الطَّعنِ والضَّربِ. ورثْتُها عن أبى، وسأورِّثُها ابنى من بعدى، وأهشُّ بها على غنمى، ولى فيها مآربُ أخرى."



الربح من غرامة

كانَ أحدُ الصحفيين الأمريكيين يقومُ بزيارةٍ سريعةٍ لإنجلترا. واضطرَّ إلى شراءِ سيارةٍ صغيرةٍ قديمةٍ بمبلغِ ١٥٠ جنيهًا، ليقضِيَ بها المهمةَ التى جاءَ من أجلِها. وفى اليوم المُحدَّدِ لركوبِهِ الباخرةَ عائدًا إلى أمريكا، لم يجِدِ الوقتَ الكافِيَ لبيعِ السيارةِ، فتركَها على رصيفِ الميناءِ، وركبَ الباخرةَ.

وبعدَ بضعةِ أسابيعَ، وصلَهُ خطابٌ شديدُ اللهجةِ من البوليسِ الإنجليزىِّ، يلومُهُ فيهِ على تركِ السيارةِ فى مكانٍ غير مخصَّصٍ لانتظارِ السياراتِ، وتعطيلِهِ المرورَ، وتعريضِ حياةِ المسافرينَ للخطرِ. وذكرَ الخطابُ أنه قد تقرَّرَ تغريمُهُ ٢٠ جنيهًا لهذه المخالَفةِ.

وقالَ الخطابُ أيضًا: "وحيث إنك تنازلْتَ عن ملكيَّةِ السيارةِ، فقد بيعَتْ بالمزادِ العلنىِّ. وبعدَ خصمِ الغرامةِ المُقرَّرةِ، نرسلُ إليكَ شيكًا بالمبلغِ المُتبقِّى وقدرُهُ ١٥٨ جنيهًا."



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها، من الأدب الشعبى، والعربى القديم، والعالمى.